جامعة دمياط
Damietta University
كلية الأداب
قسـم اللغة العربية

# المقالـــة الأدبيـــة النشـــأة والتطـــور

إعـداد الباحـث

محمـد حسـين إبراهيـم

# فــن المقالــة

**مفهوم المقالة أو المقال :-**

المقال : هو واحد من فنون النثر الأدبى الذى حطي باهتمام كبير فى العصر الحديث فظهرت مكانته بين فنون الأدب الأخرى كالقصة ، والرواية ، والمسرحية والقصيدة.

**الأصل اللغوى :**

كلمة المقال مصدر ميمى من الفعل قال ، ففى اللسان : قال يقول قولاً وقيلاً وقوله ومقالا ومقالة ، وأنشد ابن برى اللخطيئة يخاطب عمر رضى الله عنه :

**تَحَّنْ عَلَىَّ هَدَاكَ المَلِيكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالاَ**[1]

فهى من مادة القول بمعنى اللفظ أو الكلام تاماً وناقصاً ، ولسيبوية رأى فى التفرقة بين القول والكلام – لا بأس من إيراده – " قال سيبوية : وأعلم إن قلت فى كلام العرب إنما وقعت على أن تحكى بها ما كان كلاماً لا قولاً ، يعنى بالكلام الجمل ، كقولك زيد منطلق ، وقام زيد ، ويعنى بالقول الألفاظ المفردة التى تبنى الكلام منها ، كزيد من قول زيد منطلق ، وعمر من قولك قام عمر"[2].

فهو يدل على أن الكلام أوسع مدى من القول ، وأنه يشتمل عليه بضمه فى تركيبه ، وهى دلالة يستأنس بها فى إطلاق لفظ المقال على ذلك الفن الأدبى ، فإننا نجد المقال أقل حجماً مما سواه من الأعمال النثرية وأكثر إيجازاً وتركيزاً بحيث يحمل بين سطوره المحددة ما تفرد له الصفحات الممتدة فى بطون الكتب ، وإذا كان القول

---

[1] ابن منظور : لسان العرب ، مادة قول ، طبعة دار المعارف ، ص ٣٧٧٨.

[2] المصدر السابق ، ص ٣٧٧٧.

بهذا قطعة لفظية تشكل جزءاٍ من الكلام فإن المقال قطعة أدبية تحمل فكرة محددة من الأفكار.

وقد ورد استعمال كلمة المقال فى الأشعار العربية والآثار الأدبية القديمة فى " معنى الكلام الذى يحمل خبراً أو يصور رأياً ويحدد موقفاً أو ينبه إلى أمر جلل أو يحث على فعل حسن وترك قبيح أو يوضح مبهما ، فى مباشرة فى التوجيه وتحديد فى الهدف وجلاء فى البيان "[١]. قال النابغة الذبيانى :

**أَتَانِى – أَبَيْتَ اللَّعْنَ – أَنَّكَ لُمتْنِيَ وتلك تَسْتَكُّ منها المَسامِعُ**

**مَقَالَةُ أَنْ قد قلتَ سوق أنالهُ وذلك من تِلْقَاءِ مثلِكَ رائِعُ[٢]**

وينسب لحسان بن ثابت :-

**ما إِنْ مَدَحْتُ محمَّداً بمقالتِي لكنْ مَدَحْتُ مقالَتِي بمحمَّدِ**

وجاء فى الحديث الشريف : " نضر الله عبداً سمع مقالتى فوعاها ثم بلغها عنى ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[٣].

وقال مروان بن أبى حفصه :-

**هَلُ تَطْمِسُونَ من السَّماءِ نُجُومَهَا بأكُفِّكُمْ أَمْ تَسْتُرُونَ هلاَلَها**

**أَمْ تَجْحَدونّ مَقَالةً عَنْ رَبّكُمْ جِبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيُّ فَقَالها[٤]**

وقال منذر ابن سعيد قاضى الجماعة بقرطبة :-

**مَقَالٌ كحَدِ السَّيْفِ وَسْطَ المَحَافِلِ فَرَقْتُ بِهِ ما بَيْنَ حَقّ وَباطِلِ[٥]**

---

[١] د. أحمد محمد على حنطور : فن المقال فى الأدب المصرى ، مكتبة الأداب ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٨ ، ص ١٤.

[٢] ديوان النابغة الذبيانى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ١٩٧٧م ، ص ٣٤.

[٣] محمد ناصر الدين الألبانى : صحيح سنن ابن ماجة ، ط١ ، سنة ١٩٨٦ ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ص ٤٥.

[٤] د. حسين عطوان : جمع وتحقيق لشعر مروان ابن أبى حفصه ، دار المعارف ، سنة ١٩٧٣ ، ص ٩٩.

[٥] أحمد بن محمد المقرى .ت ، د. إحسان عباس : دار صادر ، نفخ الطيب من غصن الأندلاس الرطيب ، دار صادرة ، سنة ١٩٦٨م ، جـ١ ، ص ٣٧٣.

وهى معانى تلتقى إلى حد كبير مع ما نقف عليه فى مفهوم المقال فى الأدب الحديث من ناحيتى المضمون والإطار ، بل والجنس الأدبى الذى تأتى فى إهابه – مع التنبيه للمغايرة فى صور التعبير – لا تستثنى من ذلك مقالة حسان الشعرية " فقد تنظم المقالة شعراً كما يرى الناقد وستلاند"[١] ، وكما فعل الشاعر الإنجليزى اسكندر بوب فى منظومته Essayanman مقالة عن الإنسان "[٢].

تبدو جذور المقالة بعيدة فى التاريخ ، فشأنها شأن كثير من الفنون الأدبية التى بدأت مع الإنسان ومع استخدامه للغة المكتوبة ومحاولته الاعتماد فى تسجيل آثاره الواجدانية وتاريخه الروحى.

ومع أن كثيراً من الباحثين يعدّون المقالة فناً مستحدثاً ولد فى العصر الحديث استجابة لجملة من المؤثرات والأحداث والظروف الجديدة ، فإننا نميل إلى متابعة جذورها الأولى ، ومنابعها القديمة فى التاريخ الإنساني ، مع الإقرار بخصوصيته المقالة المعاصرة ، وتطور عناصرها وأساليبها استجابة لروح العصر وطبيعته المختلفة.

**أصول المقالة فى التراث العربى :-**

ربط كثير من الدارسين أصول المقالة بعدد من الفنون العربية القديمة كالخطابة والمقامة والرسائل ، ولكننا نرى أن ربطها بالخطبة أمر لايصح ، إذ أن المقالة فن مكتوب له شروط خاصة ، والخطبة فن قولى شفوي يشترط خطيباً ومستمعين وأسلوباً

---

[١] د. على أدهم : على هامش النقد والأدب ، دار المعارف سنة ١٩٧٩ ، ص ٣٠١.

[٢] د. محمد يوسف نجم : محاضرات عن فن المقالة ، معهد الدراسات العربية العالمية ، بيروت ، سنة ١٩٥٩ م ، ص ٥٨.

خاصاً يختلف اختلافاً بيناً عن المقالة ، وكذلك صلتها بالمقامة التى تقترب من القصة والفنون السردية ، لكنها بعيدة عن طبعة المقالة وبنائها.

أما صلتها بالترسل فتتسع فى الرسائل الأدبية التى برز فيها الجاحظ وابن المقفع ، وكذلك فى مقابسات أبى حيان التوحيدى ، وتبدو نصوص ابن عبد ربه صاحب " العقد الفريد " فى كثير من جوانبها قريبة الشبه بالمقالة ، عندما يحصر كتابته فى موضوع واحد ، ويعبر عنه باقتصاد وسلاسة ، وضمن رؤية ذاتية مجملة. " ربما كان من الخطأ أن ننظر إلى المقال الصحفى على أنه شئ جديد فى تاريخ الأدب العربى ، بينما هو شئ له مقدمات التى مهدت لظهوره "[1].

فالمقالة بمرونتها تتسع لأن يورد كاتبها قصة قصيرة فى سياق مقالته يستميل بها قارئه ، ويستعين بواسطتها على توضيح فكرته ، أو بيان غرضه وهدفه ، أو التمهيد لما يدعوا إليه فمثلاً فى مقال بعنوان " فى سوق البغال " يقول الكاتب :-" حدثنى صديق إنجليزى كان ضابطاً فى البحرية إبان الحرب عن زميل له طَّوحت به خطوب البحر إلى جزيرة نائية فى عرض المحيط الهادى ، لم يزد سكانها فيما أرى عن بضع مئات ، اختلفت طبائعهم عن طبائعه ، ولسانهم عن لسانه ، لكنه فى خبرته بالحياة فسيح الأفق. بحيث لم يدهش لاختلاف الشعوب فى طرائق العيش ، وأساليب الفكر والتعبير ... إلخ "[2].

أما المقالة فقد كانت هى الشكل الأدبى الرئيسى طوال العصر الحديث ، تلقت الدفعة القوية الأولى من يد جمال الدين الأفغانى مرتبطة بدعوته الشعبية ، إذ كانت

---

[1] د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر ، القاهرة ، الجزء الثانى ، دار الفكر العربى ، ص ١٩٠.

[2] د. زكى نجيب محمود : جنة العبيط ، ص ٥٧.

هـى الوعـاء الـذى صُـبَّت فيـه أفكـار الإصـلاح والنهضـة ، وعُولجـت قضـايا الحكـم والسياسـة ، وارتبطـت فـى نموهـا بنمـو الصـحافة ، فانصـرفت إليهـا كتابـات تلاميـذ الأفغانى محمد عبده ، وعبد الله النديم ، وإبراهيم المويلحي ، وأديب إسحق.

ثـم مـع ظهـور النزعـة الرومنسـية " وجـدت المقالـة الوجدانيـة ، وكـان علمهـا المنفلوطى. ومع تنوع فنون الكتابة السياسية وجدت الصورة القلمية عند البشرى. ومع الاهتمـام بالدراسـات الأدبيـة وُجـدت المقالـة النقديـة عنـد طـه حسـين والعقـاد والمـازنى وهيكل "[1].

ولكنـا هنـا لا نـؤرخ ولا نحصـى أسماء يكفـى أن نقول إن المقالـة بقيت إلـى عهد قريب غالبة على إنتاج معظم الأدباء الذين يُقام لهم وزن. " ثم إن مرونة شكل المقالة – علـى عكس المقامـة – تجعل الآثـار الأدبيـة التـى تقف فـى مكـان مـا بـين القصـة القصيرة والمقالة كثيرة جداً "[2].

وهـذا النـوع الأدبـى يحتـاج مـن الكاتـب إلـى ذكـاء ، وقـوة الملاحظـة ويقظـة الوجدان. " وهـو يتمشـى مـع الطـابع الصـحافى العـام فـى الاهتمـام بالأشـياء الصـغيرة السـريعة ، وتفضـيلها علـى الكتابـات المطَّولـة. وأهميتهـا تـأتى مـن أنهـا تسـتطيع لفـت القارئ إلى الأشياء الصغيرة فى الحياة والتى لها دلالة كبيرة "[3].

---

[1] د. عطاء كفافى : المقالة الأدبية ووظيفتها فى العصر الحديث ، هجر للطباعة والنشر، القاهرة ، سنة ١٩٨٥م ، الطبعة الأولى ، ص ٤٣.

[2] د. شكرى محمد عياد : القصة القصيرة فى مصر ، دراسة فى تأصيل فن أدبى القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، سنة ١٩٦٨ ، ص ١٠١.

[3] د. عز الدين اسماعيل : الأدب وفنونه ، دراسة ونقد ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، سنة ١٩٦٥ ، ص ٢٣٩-٢٤٠.

وفى النهاية فإن الصلة بين المقالة الأدبية وفنون الأدب الآخرى بأن يفيد كل فن أدبى من الفنون الأدبية الأخرى. وأن تكون هنا نقاط التقاء بينها إلى جانب مظاهر الاختلاف.

**تعريفات النقاد للمقالة :-**

حين نأتى إلى تعريفات النقاد فإن التتبع التاريخى لمفهوم المقال هو المنهج الذى نتخذه سبيلاً للتعرف على حقيقة ذلك الفن مذكان اتجاها فى الكتابة يتردد فى محاولات الأدباء والنقاد إلى أن صار فناً قوى الدعائم واضح المعالم عالى البنيان ، وذلك يقتضى الرجوع أولاً إلى تعريفات النقاد الأوربيين لفن المقال. فقد سبقوا إلى الوقوع على التسمية وإن كان المسمى ذا جذور بعيدة عن أدبنا العربى فيما عرف بالرسائل الفكرية أو الفصول العلمية. والمعروف عند نقاد الأدب العربى ، إن أول ظهور للمقالة بالصورة التى عرفت بها كان سنة ١٥٨٠ ميلادية ، حينما ظهرت مجموعة مقالات الكاتب الفرنسى الحكيم " مونتين " ، ويروى أنه رأى فى مدينة " بارلى دك " بفرنسا صورة رسمها لنفسه " رينية " ملك صقلية فسأل مونتين نفسه قائلاً : " لماذا لا يباح لكل إنسان أن يصور نفسه بالقلم على هذا النمط كما صور ملك صقلية نفسه بالألوان والخطوط ؛ وقد استطاع مونتين أن يرينا فى مقالاته جوانب شتى من شخصيته وأسلوب حياته "[١].

[١] على أدهم : على هامش النقد والأدب ، ص ٢٠٢.

فقد عرف الناقد الإنجليزى جونسون المقالة بأنها : " نزوة عقلية لا ينبغى أن تكون ضابط من نظام ، وهى قطعة لا تجرى على نسق معلوم ، ولم يتم هضمها فى نفس كاتبها. وليس الإنشاء المنظم من المقالة الأدبية فى شئ "[١].

ويرى ( أدموند جوس ) أن " فن المقالة قطعة إنشائية ذات طول معتدل تكتب نثرا ، وتلم بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة سريعة ، ولا تعنى إلا بالناحية التي تمس الكاتب عن قرب "[٢].

ويصف الأستاذ ( هـ.ب تشارلتن): " المقالة الأدبية فى صميمها قصيدة وجدانية سيقت نثراً ، لتتسع لما لا يتسع له الشعر المنظوم ... فإن شئت قانوناً يضبط لك المقالة من حيث الصورة فاعلم أن قدرتها على التعبيير عن خوالج النفس فى سيرها الذى لا يجرى على نظام واطراد "[٣].

وفى دائرة المعارف البريطانية " أن المقالة الأدبية عبارة عن قطعة متوسطة الطول ، تكون عادة منثورة فى أسلوب يمتاز بالسهولة والاستطراد ، وتعالج موضوعاً من الموضوعات ، ولكنها تعالجه – على وجه الخصوص – من ناحية تأثر الكاتب به "[٤].

وتعريف المقال فى الأدب العربى يرتبط بظهوره من خلال هذا الاسم فى الصحافة المصرية منذ عهد " محمد على " وإبان ما تلاه من العقود المتتالية ، وقد توزع الدارسون لدينا لفن المقال – فيما نرى – بين باحث يحاول أن يضع تعريفاً جامعاً

---

[١] د. محمد يوسف نجم : فن المقالة ، ص ٩٤.

[٢] د. عبد اللطيف الحديدى : فن المقال فى ضوء النقد الأدبى ، ط ٣ ، سنة ١٤٣٤هـ ، ص ١٣. وانظر .د. هشام البيه : محاضرات عن المقالة فى الأدب العربى ، ص ١٥.

[٣] تشارلتن : فنون الأدب ، تعريب وشرح ، د. زكى نجيب محمود ، ص ٦٥.

[٤] د. محمد عوض محمد : محاضرات عن فن المقالة ، معهد الدراسات العربية ، ص ٦١.

لهذا الفن الأدبى. ينطبق من خلاله إلى التعرف على معالمه وأبعاده وتجلية صورته للقارئ ، وكاتب متابع لآراء النقاد الأوربيين فى المقالة ، وأديب ذى تجربة ينظر إلى المقال من خلال رؤية تولدت لديه من الخبرة والمعالجة الفنية فى كتاباته. وناقد متعجل يكتفى بوصف المقال وذكر ميزاته الفنية دون أن يصل إلى مرتبة التعريف.

عندما انتشر المقال فى العصر الحديث تعددت رؤى النقاد والأدباء له ، يعرفه محمد يوسف نجم بقوله " قطعة نثرية محدودة فى الطول والموضوع تكتب بطريقة لغوية سريعة خالية من الكلفة والرهق. وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب "[١].

وعرفها محمد عوض بأنها : " كل تأليف منثور يعالج موضوعاً هاماً ، صيغ صياغة أدبية ، فيؤثر فى النفس وتعرض الموضوع عرضاً شائفاً "[٢].

ويعرفها عبد اللطيف حمزة : " فيقول هى فكرة من الأفكار يتصيدها الكاتب الصحفي ، أو يستلقطها من البيئة المحيطة ، ومتى انتقل الكاتب الصحفى بفكرة ما احس فى نفسه حاجة ملحة إلى الكتابة "[٣].

ويقول الدكتور زكى نجيب محمود عن المقالة " إنها يجب أن تصدر عن قلق يحسه الأديب مما يحيط به من صور الحياة وأوضاع المجتمع ، على شرط أن يجئ السخط فى نقمة هادئة خفيفة ، هى أقرب إلى الأنين الخافت منها إلى العويل الصارخ.

وهى سخط مصطبغ بفكاهة لطيفة ، وليس سخطاً مما يدفع الساخط لتحطيم الإناث وتمزيق الثياب. ويرى فى كاتب المقالة أن يكون ناقماً ، وأن تكون نقمته خفيفة

---

[١] د. محمد يوسف نجم : فن المقالة ، ص ٩٥.

[٢] د. محمد عوض : فن المقالة الأدبية ، ص ٣٣.

[٣] د. عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة فى مصر ، دار الفكر الثالثة ، ط٣ ، سنة ١٩٦٤ ، ص ٢١٣.

يشيع فيها لون باهت من التفكه الجميل . كما يشترط أن تكون المقالة على غير نسق من المنطق ، وأن تكون أقرب إلى قطعة مشعتة من الأحراش الوحشية منها إلى الحديقة المنظمة ، فلا نقط فيها ولا تبويب ولا تنظيم "[١].

والذى نميل إليه فى تعريف المقالة ما ذهب إليه الأستاذ العقاد من كونها " قطعة نثرية مؤجزة محتفل بها فى موضوع يستوفيه الكاتب أو ينجمه على مقالات تستوعب الواحدة جانباً منه فى أسلوب حسن ، وبعبارة بليغه وألفاظ منتقاة ، وتعبر عن وجهة نظر كاتبها"[٢].

وعرفها العقاد فى مناقشة لرأى الدكتور زكى نجيب محمود " ينبغى أن تكون مشروع كتاب فى موضوع لمن يتسع وقته للإحمال ولا يتسع للتفصيل ، فكل مقالة فى موضوع هى كتاب صغير يشتمل على النواة التي تنبت منها الشجرة لمن شاء الانتظار "[٣].

وتقول الدكتورة نعمات أحمد فؤاد " المقالة ليست دراسة ، ولكنها كلام ليس المقصود به التعميق والتركيز وهى فى مدلولها الحديث ثرثرة بليغة محببة ، ويعرف صاحبها كيف يبدأ أولاً وكيف ينتهى "[٤] ورأى أن هذا التعريف لا ينطبق علي مقالات كثيرين من الكتاب الذين يعرفون كيف يبدؤن ، وكيف ينتهون.

ويعرفها على أدهم فى كتابه " على هامش الأدب والنقد " فيقول : " إنها – أى المقالة – تعبير عن وجهة نظر خاصة "[٥].

---

[١] زكى نجيب محمود : جنة العبيط ، ص ٨.

[٢] د. عباس العقاد : المقالة الأدبية فى أدب العقاد ، الدار المصرية اللبنانية ، سنة ١٩٨٧ ، ص ٣٣-٣٤.

[٣] عباس محمود العقاد : يسألونك ، المطبعة العصرية ، بيروت ، سنة ١٩٨١ ، ص ٦.

[١] عبد القادر المازنى ونعمات أحمد فؤاده : الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط ١ ، ص ١١.

[٢] على أدهم : على هامش الأدب والنقد ، شركة الأمل للطباعة والنشر ، سنة ١٩٨٨ ، ط١ ، ص ٢٠٤.

وعرفها الأستاذ فاروق خورشيد بقوله : " إنها ذلك الشكل من الكتابة الذى يتجه فيه الكاتب إلى قارئه اتجاهاً ماشراً ينقل له أفكاره وآراءه دون ارتباط بقالب تعبيرى محدد من تلك القوالب التي اصطلح على تسميتها بالقصة أو الرواية أو الدراما أو الشعر "[١].

ويعرفها السيد قطب بقوله : " أما المقالة فهي فكرة قبل كل شئ ، وموضوع فكرة واعية وموضوع معين يحتوى قضية يراد بحثها ، قضية تُجمع عناصرها وترتب بحيث تؤدى إلى نتيجة معينة وغاية مرسومة من أول الأمر وليس الانفعال الوجدانى ، هو غايتها ولكنها الاقتناع الفكري"[٢].

ويعرفها الدكتور محمد حامد شريف بقوله المقالة : " هى عبارة عن قطعة نثرية محدودة الطول ومحدودة الموضوع تكتب بطريقة خالية من التكلف أو إرهاق القارئ وتعبر عن كاتبها ولها ثلاثة عناصر :

١-مادة المقالة : ويستمدها الكاتب من الموضوع ذاته ، ويشترط لجودتها أن تكون المادة صحيحة وفيها تجديد وتشويق.

٢-أسلوب المقالة : وهو يختلف من ذاتي إلى موضوعي ومن علمي إلى أدبى.

٣-خطة المقالة : وهى تتألف من مقدمة موجزة تقدم للعرض ، وعرض مفصل للأفكار بتسلسل منطقي ، ثم خاتمة وهى تلخيص للنتائج التي توصل إليها الكاتب "[٣]. ويعرفها بعض الدارسين بأنها : " نمط من التعبير الحر

---

[٣] الأستاذ فاروق خورشيد : بين الأدب والصحافة ، ط الأولى ، الدار المصرية للنشر والطباعة ، ص ١١١.

[٤] د. سيد قطب : النقد ألدبى ، أصوله ومناهجه ، دار الشروق ، القاهرة ، ط الخامسة ، ص٩٤.

[١] د. محمد حامد شريف : قطوف من ثمار الأدب العباسي ، مطبعة الشروق ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٩م ، ص ١١٧.

المصور لأحداث الحياة وصور المجتمع فتعرف به ملامح كل جديد وخصائص كل مبتكر ، وسمات كل مستحدث من سياسية وأدب واجتماع ونقد وعلوم في أقرب وقت وبأقل جهد"[١].

وفى ميدان الكتابة ومتابعة الأوربيين فى فهم المقالة يرد الدكتور زكى نجيب محمود ما ذهب إليه قدامي النقاد والإنجليز ويعرفها بالوصف لا بالرسم حيث ذهب إلى أنه " يشترط أن تكون المقالة على نسق من المنطق ، وأن تكون أقرب إلى نقطة مشعته من الأحراش الحوشية منها إلى الحديقة المنسقة المنظمة "[٢].

وقد كفانا الأستاذ العقاد الرد على الدكتور زكى نجيب محمود ، حين أرجع ما ذهب إليه أولاً فى متابعة الغربيين فى التعريف إلى محاولة فرض نوع من المقالات على سائر أنواع المقالة على نحو يرفضه الواقع الأدبى لكتابة المقال فى الأدب العربى والأوربى ويقر العقاد أنه " مما لا خلاف عليه أن هذا التعريف يصدق على نوع من المقالة يزداد شيوعاً بين الغربيين كلما شاعت الصحافة وشاعت معها أساليب الكتابة العاجلة ، ولكنه لا يحصر جميع المقالات الأدبية ، ولا يصدق على جميع الفصول"[٣].

إن هذه الآراء تحرص على الجمع بين حرية الكاتب فى بث خواطره ومنهجية العمل الفنى المحكم ، مع تفاوت فى مدى الاهتمام بأى منهما فى المقال الأدبى " وإن بدا لدى الكثير من التعريفات السابقة الميل إلى تغليب جانب حرية الكاتب فى بث خواطره وفق تواردها على ذهنه دون ترتيب أو تنسيق".

---

[٢] السيد مرسى أبو ذكرى : المقال وتطوره فى الأدب المعاصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ ، ص ٦٩.

[٣] زكى نجيب محمود : جنة العبيط ، ص١١.

[١] د. محمد حامد شريف : قطوف من ثمار الأدب العباسي ، مطبعة الشروق ، الطبعة الثانية ، سنة ١٩٩٩م ، ص ١١٧.

والجمع بين الأمرين يمثل الركيزة الأساسية لفن المقالة الأدبية – وهى التى كانت تطلق على فن المقالة قبل النزوع إلى التقسيم – من حيث كونها فناً لا علماً ، ومن حيث ضرورة أن تجمع فى غاياتها بين المتعة والفائدة.

إن هذا التعدد فى الآراء لا يمثل إشكالية فى صعوبة تحديد المقالة كما ذهب إليه أحد الناقدين بقدر ما يعكس الاهتمام بفن المقالة باعتبارها إحدى الصور التعبيرية الأثيرة لدى الأدباء فى المقالة الذاتية ، ويبرز مدى مواءمة التناول فى المقالة الموضوعية مع طبيعة العصر الذى يميل إلى المعالجة السريعة للموضوعات لا التأنى فى البحث والميل إلى كتابه الموسوعات[١].

**أهمية المقالة**

ظهرت بذور الأدب المقالي بأنواعه المختلفة ، فى الآداب القديمة قبل القرن السادس عشر. لأن المقالة – كسائر فنون الأدب الأخر ، تقوم على ملاحظة الحياة ، وتدبر ظواهرها ، وتأمل معانيها.

وهذه ظاهرة نفسية رافقت الإنسان منذ ظهور على وجه الأرض وقد عبر عنها منذ فجر التاريخ فى تهاويل السحر ، ورسوم الكهوف ووجدت فى أحاديثه ومسامراته قبل عهد التدوين متنفساً ومراحاً. " وأصبح من عادة الإنسان المتأمل فيما بعد ، أن

[٢] الدكتور . أحمد محمد على حنطور : فن المقال فى الأدب المصرى الحديث ، ص ٢٨.

يدون نتيجة تأملاته وخاطراته على صور ساذجه تتسم بالبساطة والعفوية دون أن يشق على نفسه فى خلق قالب محدد ، أو لعله لم يكن من الفطنة والحدق بحيث يتسم له ذلك. وهذا ما نجده فى أمثال الأمم وجوا مع كلمها "[1]. والمقال له جذور ضار بةفى تاريخنا الأدبى ، والعودة إلى كتب الأدب العربى تبدي لنا عن نماذج مقالية فى الكتابة والسياسة والإجتماع والفنون والعلوم ، فرسالة " عبد الحميد الكاتب " إلى الكُتاب مثال على المقالة الأدبية.

ومقالات ابن المقفع والصديق مثال للمقالة الإجتماعية ومقالاته فى الحكم مثال على المقالات السياسية.

وترجع أهمية المقالة إلى :-

١) أنها وسيلة من وسائل انتشار الثقافة.

٢) معالجة المشكلات السياسية والاجتماعية.

٣) التنبيه والإثارة لقضايا الفكر.

وتعتبر المقالة نوعاً أدبياً وهو " محدود بحيز الجريدة أو المجلة يعالج مجموعة معينة من الأفكار وهو تقليد يعود إلى ظهور الصحافة "[2].

قد كُتب على غلاف إحدى المجلات ذات الطبعات الدولية. أكثر من مائة مليون يقزؤون هذه المجلة فى مائة وثمانين بلداً فى العالم وبخمسة عشر لغة. فما سر هذا الإقبال الشديد على مطالعة المقالات المنوعة فى الصحف والمجلات فى كل أقطار العالم؟.

---

[1] د. محمد يوسف نجم : فن المقالة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٥٧ ، ص ٨.

[1] د. سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، عرض وتقديم وترجمة ، مطبوعات المكتبة الجامعية ، الدار البيضاء ، المغرب ، سنة ١٩٤٨م ، ص١٠٥.

إن السر يكمن فى طبيعة العصر وطبيعة الإنسان فى هذا العصر ، التى طفت فى المادة على القيم ، ونما العقل على حساب القلب ، وتعقدت أنماط الحياة ، وكثرت متطلباتها ، واستهلك كسب الرزق معظم الوقت واختصر كل شئ حتى اختصرت الشهور فى ساعات والسنون فى أيام ، وظهرت الحاجة ملحة إلى مطالعات سريعة خفيفة " فتطلع الناس إلى الصحف والمجلات واستهوتهم الكتيبات والدوريات ، وكأن الناس أردوا أن يختصروا البحر فى قارورة والستان فى باقة وضياء الشمس فى بارقة ، وبحثوا عن فن أدبى يدور معهم أينما داروا ويرافقهم حيثما ساروا ويكون معهم فى حلهم وترحالهم وأحزانهم وأفراحهم فى لهوهم وجدهم ، يعبر عن نشاطهم العقلى وعن اضطرابهم النفسى ، لذلك اختصرت الكتب فى مقالات فجاءت بلسماً شافياً لمرض العصر. ودواء لضيق الوقت "[١].

فكانت المقالة الأدبية من أوسع الفنون الأدبية انتشاراً لأنها أقلها تعقيداً وأشدها وضوحاً وأكثرها استيعاباً لشتى الموضوعات وأيسرها مرونة على الكاتب وأسهلها هضماً على القارئ ، وكل هذه الأسباب جعلت المقالة الأدبية من أوسع الفنون الأدبية انتشاراً وتلبية لحاجات العصر. وقد وعى أهمية المقالة الأدبية كثير من المفكرين والآدباء ، فقد سئل العقاد عن ضرورات الفنون الجميلة فأجاب :" تحصيلنا على الرغيف يساوينا بسائر الأحياء ، ولكن تحصيلنا على الجمال لا يجعلنا أحياء وحسب بل يجعلنا بشراً ممتازين فى أمة ممتازة تحس وتحسن التعبير عن إحساسها ،

[٢] د. محمد راتب النابلس : فن المقالة فى عصرى ، موسوعة النابلسى ، موضوعات أدبية ، سنة ٢٠٠٠ ، ص٢٠٠.

والضرورات توكلنا بالأدنى من مراتب الحياة ، أما الذى يدفعنا إلى الأوج من طبقات الإنسان فهو الفنون "[1].

وفى هذا العصر نحن أحوج إلى الإهتمام بالأدب ، لتخلص من هموم التكنولوجيا ، وهجمة الصناعة الإعلامية والثقافية ، " فإذا كان التقدم العلمى قادراً على تزويداً بالوسائل الترفيهية ، فهو ليس بقادر على منحنا ثقافة الجمال التي تجعلنا نحس بإنسانيتنا ، إنه يتركنا مجرد مستهلكين لبضائع مستوردة .... وبالأدب نستطيع أن نحقق تلك الثقافة "[2]. ومن المعلوم أن فن المقالة كان سبب شهرته وذيوعه انتشار الصحافة ، فكانت الصحافة ولا تزال هى الدعامة الأولى لفن المقال ، حيث إنها رخيصة الثمن فى متناول الجميع ، ولسرعة نشرها ، ولأن العاملين عليها يسعون بشتى الطرق للتجديد فيها ، وجذب القراء إليها.

فالمقالة الأدبية الجيدة إذن تنم عن تفكير ناضج وعن عاطفة جياشة ، مجلوة بأسلوب أدبى متقن ؛ لأنه ليس معنى وجدانيه التجربة الفنية لكاتب المقالة الأدبية أن تكون بعيدة عن فكره ؛ فهو حين يُصور تجربته ويعبر عن ذاته يُعبر فى الوقت نفسه عن موقفه تجاه الحادث الذى أثَّر فيه أو المشهد الذى انفعل به.

" فالفن إذا لم يرفْده الفكر كان مجرد أحلام ساذجة ، وأخيلة تافهة شاردة لا تتصل بالنفس ولا بالحياة .... والفكر هو طاقة الفن الكبرى ، وهو مصدر إلهامه الأعظم. والفكر لا يكون كذلك إلا حين يصبح جزءاً من الفنان وعنصراً من وجوده الفنى حينذاك يصبح توجيه الفكر للفن صادراً من ذات الفنان لا من عالم خارج عن

---

[1] عباس محمود العقاد : مقالة بعنوان " أدب المقالة " فى مجلة الرسالة ، العدد ٧٨٧ ، بتاريخ ٣ أغسطس ١٩٤٨ ، ص ٨٥٧ –٨٥٨.

[2] د. محمد عبد الله قواسمة : أهمية الأدب وقائدته ، منتديات ، ستارتا يمز ، أدراء وشعراء ومطبوعات ، ٢٠١٤/٢/٢٦.

ذاته ، فأى خطر على الفن من هذا إذن ؟ "[١] ومن أهمية كتابة المقالة الأدبية الإبداع الأدبى ، فإذا جاءت مرحلة التعبير أشرف الفكر على تنسيق خواطره ، وإحكام دائها كيلا تختل أو تتعارض. وبقدر ما يتاح للكاتب من خصب الفكر وعمق النظرة إلى الإنسان والكون تتجاوز مقالته حدود مكانه وزمانه ، فيؤثر فى من لا تربطهم رابطة القطر أو العصر ، لكن الأفكار لا ينبغى أن تُساق سوقاً تقريريا ، بل تأتى عبر وجدان الكاتب " وكلما وجدت الكاتب أذنى إلى أن يحدثك فى تاريخ نفسه فيما يكتب ، إن رأيته يرسل الخواطر إرسالاً هينا فيستشف منها ما وراءها من حالته النفسية فاعلم أنه قد أجاد ، أما أن وجدته يعالج موضوعاً لا يتصل بكنون نفسه ، ويُعنى بتنظيمه وثبوته كما ينظم البحث العلمى فاعلم أنه عن الجودة بعيد "[٢].

ولنا الآن أن نتساءل هل للمقالة نهج معين ؟ " فإن القالب الأدبى لا يستغنى عن النهج ، ولكنه يختلف باختلاف القوالب "[٣]. " ففى بعضها نجده بارزاً لا تخطئه العين يتناسب تناسباً مطرداً مع المقدرة الفكرية فى العمل الأدبى ، فكلما زادت القيمة الفكرية فى العمل الأدبى ، برز النهج ، ويتوارى إذا كان العمل يغلب عليه الاتجاه العاطفى " [٤].

ولقد لعبت مقالات طه حسين دوراً مهماً فى إرساء قواعد المقالة الأدبية بما امتلك من موهبة فى اختيار موضوعات مثيرة للفكر وتقديمها بلغة سلسلة وشائقة ولقد جاءت مقالاته فى معظمها محققة لما اشترطه زكى نجيب محمود لكاتب المقالة حين

---

[١] حسين مروة : مع القافلة ، بيروت ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٥٣ ، ص ٨٩.

[٢] زكى نجيب محمود : فنون الأدب ، القاهرة ، لجنة التأليف والنشر ، ١٩٥٩ ، ط ثانية ، ص ٦٧.

[١] عطاء كفافى : المقالة الأدبية ووظيفتها فى العصر الحديث ، هجر للطباعة والنشر ، سنة ١٩٨٥ ، ط١ ، ص ١٥.

[٢] د. محمد كامل جمعة : الأسلوب ، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ، سنة ١٩٦٣ ، ط ثانية ، ص ٤١.

يقول : " يجب أن يكون كاتب المقالة محدثاً لقارئه. لا معلماً بحيث يجد القارئ نفسه إلى جانب صديق يسامره لا أمام معلم يعنفه ، نريد من كاتب المقالة الأدبية أن يكون لقارئه زميلاً مخلصاً لا أن يقف منه موقف الواعظ فوق منبره يميل صلفاً وتيها بورعه وتقواه "[١].

وكأنى بزكى نجيب محمود وهو يضع شروط لكاتب المقالة الجيد – " كأنه يضع نموذج طه حسين أمامه ليستشف منه ما ذهب إليه من شروط. ولئن كان طه حسين قد وازن بين طرافة المعنى ، وجمال اللفظ فإن هذه المعادلة قد اختلت بين يدى أحمد أمين الذى جاء احتفاؤه بالمعانى على حساب الألفاظ. غير أن أحمد حسن الزيات قد بدأ بصورة مناقضة لأحمد أمين ، وذلك حين رجحت عنايته بالقيم اللفظية على حساب المعانى "[٢].

والمقال الأدبى " يعتنى بالمعانى والموضوعات أكثر من عنايته بالإنشاء وهو مقال تثقيفى يقف فيه الكاتب موقف العالم ، وكأنه يلقى درساً من الدروس ، أو كأنه بصدد مشروع بحث فى موضوع من الموضوعات "[٣].

ويحرص كاتب المقال الأدبي على تنويع بلاغة العبارة ، واختيار اللفظ ، وحسن الجرس والمحسنات اللغوية التى لا تثقل على السمع ، وتحقق هدفها البيانى المنوط بها.

وكم من كتب لخصت فى هذه المقالة ، وكم من نظريات أدبية أو سياسية أو إجتماعية جمعت وركزت فى عدد من السطور ، " وبذلك حملت إلينا المقالة الأدبية

---

[٣] زكى نجيب محمود : جنة العبيط ، ص ٤.

[١] د. أحمد عبد الحى يوسف : فن المقال عند زكى نجيب محمود ، مكتبة نانسى ، ٢٠١٤ ، ص ٨١ .

[٢] د. محمد مصطفى هدارة : مقالات فى النقد الأدبى ، دار القلم ، سنة ١٩٦٤ ، ط٢ ، ص ٧٩.

الثقافية زاداً كبيراً من المعرفة ، إذ كانت أشبه بكتب صغيرة ، فهي تبحث فى القديم والجديد فى الأدب ، وتترجم لأعلام الغرب والشرق وهى تقدم دراسات فى الفنون أو فى الشعر والشعراء أو فى النظم السياسية"[١].

وقد نشطت المقالة الأدبية التثقيفية نشاطاً واسعاً فى العصر الحديث عارضة كثيراً من جوانب العلم والمعرفة وحقائق الأدب والفن ومشاكلها بحيث لا نبالغ إذا قلنا : " إنها تحاول جادة أن توجد عندنا وعياً علمياً وأدبياً وفنياً "[٢]. وقد يكتب المقال الأدبى للمتخصصين ، وعند ذلك يطلب من كاتبه " أن يحرص على ارتفاع القراء إليه ، ويعتمد على قدر ما يملكه من ثقافة وفطنه وذكاء فى اختيار الألفاظ وقوة الصياغة والاهتمام بوضوح الفكرة ، وللكاتب أن يختار المنهج الفنى الذى يود أن يعرف به "[٣].

والمقال الأدبى يعرض لكل شئون الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية والتاريخية .... فهو مقال اجتماعى وسياسى وفلسفى ... ولكنه وسم بالأدبى بالنظر إلى أسلوبه حيث ينبغى أن تتوافر فيه كل شروط الأسلوب الأدبى وخصائصه ، حيث يجب أن يكون أسلوباً أدبياً راقياً ، لاسقط فيه ولا ابتذال

ولا عامية ولا سوقية ، وليس معنى أدبى أنه يبحث فى الأدب والنقد كما قد يظن البعض.

**وظيفة المقالة الأدبية :-**

---

[٣] شوقى ضيف : : فى النقد الأدبى ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٩ ، ص ٧٠.

[٤] د. عبد اللطيف الحديدى : فن المقال فى ضوء النقد الأدبى ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، ط ١ ، سنة ٢٠٠٠ ، ص ٧٢ ، نقلاً عن الأدب الحجازى ، ج٣ ، ص ٥٤.

[١] المصدر السابق ، ص ٧٢.

النظرة الشاملة لحياتنا الأدبية ولفنون الأدب في العصر الحديث تُبين لنا أن المقالة كانت ولا تزال اللون الغالب في النتاج الأدبي ، والفن الذي تناولته بكثرة أقلام الأدباء المحدثين ، والقالب الذي عولجت من خلاله مختلف القضايا والظواهر الأدبية ، فالعدد الكبير من أمهات الكتب التي أسهمت في التطوير الأدبي ، وفي البحث عن أصالتنا الخاصة من خلال التيارات التي تمر بها حياتنا الأدبية وفي تناول قضايانا الأدبية والنقدية.

هذا العدد من الكتب الذي نهض بهذه الوظيفة « يضم مجموعة من المقالات نشرها كُتَّابها أول الأمر في المجلات والصحف ، ثم جمعوها في كتب أصبحت اليوم جزءاً من ثراثنا الحديث ، ولعبت أكبر الدور في تطوير حياتنا الأدبية والفكرية »[1].

وبذلك أصبحت المقالة الشكل الأدبي الغالب في العصر الحديث ، ولا تخفي علينا المعارك الأدبية التي استمرت بين الأدباء ، وشحذت فيهم الهمم ، ونشطت الأقلام وأبرزت تيارات ، وحددت اتجاهات ، وقدمت مدارس كان لها أكبر الأثر في تطوير حياتنا الأدبية والنقدية ، مثل معارك عباس محمود العقاد ، ومصطفي الرفاعي والدكتور طه حسين ، وإبراهيم عبد القادر المازني ، وعبد الرحمن شكري ، والدكتور محمد حسين هيكل والدكتور زكي مبارك ، وأمين الخولي ، وغيرهم .

فكانت المقالة هي الفن المفضل لعرض كل واحدٍ منهم لوجهة نظره والدفاع عنها ، وتفنيد آراء خصمه ، يصرف النظر عمَّا شاب بعضها من روح نزاليه عنيفة. كما أن المقالة كانت أسبق من الشعر غالباً في عرض القضايا الوطنية والمشكلات

---

[1] من هذه الكتب على سبيل المثال وليس الحصر : الفصول – خلاصة اليومية – ساعات بين الكتب ، مطالعات فى الكتب والحياة لعباس محمود العقاد ولإبراهيم المازني : حصاد الهشيم وقبض الريح وغيرها وللدكتور طه حسين حديث الأربعاء في الصيف ، من بعيد ولحمد حسن الزيات من وحي الرسالة ولزكي نجيب محمود أدب المقالة.

الاجتماعية ومعالجتها . ثم جاء الشعراء بعد ذلك وجعلوا من أنفسهم الصف الثاني من صفوف المصلحين في المجالين الوطني والاجتماعي ، فكان كلما ارتفع صوت من أصوات المصلحين في مقالة برأي من الآراء ، أو بفكرة من الأفكار سمع الناس بعد ذلك صوت الشاعر يصوغ في قالبه الشعري تلك الآراء وهذه الافكار.

وآيه ذلك أننا نري في دواوين الشعر الحديث أبواباً خاصة بالاجتماعيات والوطنيات. وإذا ذهبنا نؤرخ لما اشتملت عليه هذه الأبواب من القصائد وجدنا أنها نُشرت علي أثر مقالة أو مقالات في هذا المعني »[1]. فكانت المقالة تسمح للفكرة بأن تظهر ثم تُصطفي بعد ذلك .

كما كانت المقالة بمثابة مدرسة " تربت فيها جمهرة كبيرة من الناشئة الأدبية حتي صقلت مواهبهم ، وتحددت ملامح كتاباتهم ، ولا يقتصر الأمر علي الناشئة وحدهم بل عالجها كثير من الأدباء المشهورين ونبغ فيها عدد غير قليل منهم ، مثل عباس محمود العقاد ، وإبراهيم عبد القادر المازني ، وأحمد حسن الزيات ، والدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين ، وعبد العزيز البشري والدكتور زكي مبارك ومصطفي صادق الرافعي ، ومصطفي لطفي المنفلوطي ، والدكتور محمد حسين هيكل ، والدكتور زكي نجيب محمود ، وشكيب أرسلان ، وجبران خليل جبران والدكتور يعقوب صروف ، وفرح أنطون ، وعمر ناخوري ، وميخائيل نعيمة "[2].

---

[1] عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفية فى مصر ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، سنة ١٩٥٥ ، ط١ ، ص ٦٧.

[2] عطاء كفافى : المقالة الأدبية ووظيفتها فى العصر الحديث ، هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١ ، سنة ١٩٨٥م ، ص ٦٦.

بل كان من هؤلاء من تأسست مكانته الأدبية على كتابة المقالة وإجادته فيها. ولم تكن معرفة القراء به ، وتقديرهم لأدبه من خلال فن آخر من الفنون الأدبية من شعر أو قصة أو مسرحية أو تراجم.

وأبرز هؤلاء أحمد حسن الزيات ، وعبد العزيز البشري ومصطفي صادق الرافعي والدكتور أحمد أمين والدكتور زكي مبارك ، والدكتور زكي نجيب محمود.

ونستطيع أن نقدر مدي تأثير المقالة في حياتنا الأدبية والنقدية لو تمثلناها خالية من هذه المقالات " التي تضمنت آراء الدكتور طه حسين في الأدب و تذوقه ، ومواقف عباس العقاد في النقد وفي القضايا الفكرية ، ودفاع أحمد حسن الزيات عن البلاغة وجماليات التعبير ، واعتزاز مصطفي صادق الرافعي بالتراث العربي وصوره البيانية ، ودعابة عبد العزيز البشري وصوره الفكاهية وشفافية الأسلوب لدي ميخائيل نعيمة ونظراته الإنسانية ، وعناية الدكتور أحمد أمين بالفكرة ، وتأثير إبراهيم عبد القادر المازني في تطوير الأسلوب ، وإسهام الدكتور محمد مندور في التعريف بالقضايا النقدية ، ودعوة الدكتور زكي نجيب محمود إلي الأخذ بالمنهجية والتفكير العلمي ، وحرص الدكتور عبد القادر القط علي العناصر الجمالية في النقد"[1].

فكانت المقالة الأدبية إذن عاملاً مهماً من عوامل تنشيط الحركة الأدبية والفكرية لا يقل عن أي عامل آخر من العوامل التي يكثر المؤرخون للأدب والفكر في الحديث عنها.

ويمكننا أن نقول باطمئنان بأنه ما من شاعر ، أو كاتب قصة ، أو مبدع مسرحية أو منشئ ترجمة إلا وكتب المقالة الأدبية وله فيها نتاج لا يمكن إغفاله.

---

[1] المصدر السابق ، ص ٦٧.

فجميع هذه المجالات والأنشطة للمقالة الأدبية توضح لنا إذن وظيفتها في العصر الحديث ، ويقف بنا علي المعالم الرئيسية لهذه الوظيفة.

كما لا يمكن الحديث عن المقالة كنوع من الأنواع الصحفية دون تحديد وظائفها العامة والشاملة. وهذه الوظائف تعد جزءاً لا يتجزأ من النشاط الفكرى والإعلامى بمختلف أوجهه لخدمة المجتمع ووجهات النظر المختلفة سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو ثقافياً.

فقد توحدت جهود الباحثين لإبرازها بشكل أو بآخر. فالمقالة تستطيع أن تسهم فى إنجاز جميع الوظائف التى تسعى إليها الأنواع الإعلامية،إلا أن الوظيفة الأساسية الأهم التى تستطيع المقالة أن تنجزها تتمثل فى نشر التوعية ، والتثقيف والبناء الفكرى. فالمقالة نوع صحفى فكرى غير إخبارى يعتمد أساساً على عناصر التحليل والبحث والدراسة والتجريد والتعميم والتفكير. " يتوجه أساساً إلى ذهن القارئ وتفكيره ويقدم فهماً معمقاً لقضية ما ويسعى لخلق قناعة جديدة لدى القارئ إزاء هذه القضية ، أو لتعديل قناعة قديمة موجودة فى ذهنه. ويجهد لتوسيع إدراك القارئ وتنمية وعيه وتعميق فهمه للحوادث ، والظواهر ، والتطورات بقصد المساهمة فى تنشئة المواطن وفق رؤية الكاتب "[١].

وهذا ما يشير إليه الدكتور عبد العزيز شرف حين يقول : " إن المقال يقوم بأداء وظائف الإعلام والتفسير ، والشرح والتوجيه والإرشاد والإمتاع ، والتعليم ، والتنشئة الاجتماعية. فهو مسئول عن تقديم المعلومات إلى الجماهير "[٢].

---

[١] د. أديب خضور : مدخل إلى الصحافة نظرية وممارسة ، دمشق ، ط١ ، سنة ١٩٩١، ص ١٤٩.

[٢] د. عبد العزيز شرف : الأساليب الفنية في التحرير الصحفى ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٠ ، ص ٣٣٦.

ومن وظائف المقالة العرض لحقيقة ما ، وتقديم رأي ما فى نسق منطقي مؤجز ، وممتع يهدف إلى الإمتاع والمؤانسة ، والتوجيه والإرشاد ، والتفسير لأنباء ذات مغزى وأهمية. " كما يوظف المقال الصحفى مع فنون المقالة الأدبية من قصصية ووصفية ونزالية ، لأداء مهامه الذى يقوم فى جوهره على أنه فن تطبيقى وليس فناً تجديداً "[١].

ووظائف المقالة " تقديم المعلومات والبيانات ، فضلاً عن الأفكار الجديدة حول قضايا ومشاكل العصر ، أو قديمة تشغل اهتمامات الرأى العام ، وتفسير هذه الموضوعات ، وتثقيف القارئ عن طريق إمداده بالمعلومات والأخذ بهدف التسلية والإمتاع "[٢].

ومن وظائف المقالة أيضاً أن مجالها فسيح للتأفق فى العبارة الإفصاح عما يتمتع به الكاتب من سلامة في الأداء اللغوى وذوق فى التعامل مع اللغة وثقافة أدبية واعية ينطلق منها للتحليق بموضوعه والوصول به إلى مكامن الشعور عند المتلقين، ودون قصر لذلك على ظواهر الأدب وقضاياه بل تمتد المعالجة لتتناول سائر جوانب الحياة فى أسلوب أدبى.

---

[١] د. عبد العزيز شرف : فن المقال ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٠ ، ص ٢٩-٣٠.

[٢] د. سميرة شيخانى : أثر تكنولوجيا الاتصال والمعلومات فى تطور فنون الكتابة ، القاهرة ، سنة ١٩٩٩ ، ص ١٨٠.

**تطور المقالة**

عرفنا أن أصل المقالة هي الرسالة أو الفصل ثم تطورت الرسالة فأصبحت مقالة إن لن ترسل فإن ارسلت كانت رسالة.

وقد شهد العصر الحديث سيطرة للنثر ، وغلبة له علي الشعر حتي أصبح هو الفن الأدبى المميز البارز ، وذلك يرجع لكثرة الموضوعات المعروضة على الأدباء ليكتبوا فيها.

ولأن ظروف هذا العصر لا تقتضى أن يقال فى كل المواضيع شعراً حيث كانت الحروب والاحتلال ، والشعر يحتاج لشرح لكي يفهمه العامة من القراء ، وهذا يقلل من واقع المعانى ، والألفاظ علي نفس القارئ والسامع بخلاف ما إذا فهمه عند سماعه لأول وهلة ، وهذا يتوفر فى النثر الواضح ، والشعر أحياناً يقتضى لفظاً صعباً على فهم البعض من العامة بهذه الأسباب وغيرها ذاع فن المقال وانتشر فى العصر الحديث.

أما المقالة الحديثة فقد نشأت فى أوربا ، وانتقلت إلى العربية مع انتشار الصحافة في عصر النهضة الحديثة ، ويرى " د. شوقي ضيف أننا قد أخذنا المقالة عن الغربيين "[1] وقد أنشأتها عندهم ضرورات الحياة العصرية والصحفية ، فهي لا تخاطب طبقة رفيعة في الأمة ، وإنما تخاطب طبقات الأمة على اختلاف وهي لذلك لا تتعمق في التفكير حتى تفهمها الطبقات الدنيا ، وهى أيضاً لا تلتمس الزخرف اللفظي حتى تكون قريبة من الشعب ، وذوقة الذى لا يتكلف الزينة والذى يؤثر

[1] شوقى ضيف : الأدب المعاصر فى مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١٠ ، ص ١٩٣.

البساطة والجمال الفطري ، ومن أجل ذلك لم يكد أدباؤنا يكثرون من كتابتها بالصحف في أواسط القرن الماضي.

وقد ذاع مصطلح المقالة فى الأدب الغربي ، وانتشر أسلوب كتابتها وتطور شكلها ومضمونها ، مع ظهور الصحف والمجلات فى القرنين السابع عشر والثامن عشر.

وقد لخص الدكتور محمد يوسف نجم سمات المقالة عند " مونتين " [١] ، فقد امتازت بتأفق العنصر الشخصى ، واتسم أسلوبها بالحرية والتدفق والتشعب والسير على غير أصول مرعية ، أو قواعد معينة ، ولم تخل هذه المقالات من الأمثال والحكم السائرة ، إلا أنها تأتي عرضاً دون قصد أو تعمد ، وكانت تقف على هامش العمل الأدبى.

وأما " فرانسيس بيكون "[٢] فقد اختلف أسلوبه عن مونتين ، وقد اشار إلى ذلك العقاد فيما كتبه عن فرانسيس بيكون " فمونتين فياض مسترسل كثير الأغراض متعدد الملامح الشخصية ، قريب في أسلوبه إلي أساليب المقاليين المحدثين ، ولكن بيكون كان أقرب إلى الاحتجاج والتركيز ودسامته المادة الفكرية ، واجتناب الألوان الشخصية والملامح الخاصة التي تنم عليه ، وعلى الجانب الإنساني فيه.

وقد تطورت المقالة من بعد تطوراً واسعاً بتعدد مضامينها وأفكارها ، وما استدعته المضامين الجديدة والتوسع فيها من أشكال فنية وأساليب تعبيريه تجاوزت

---

[١] د. محمد يوسف نجم : فن المقالة ، ص ٢٨.

[٢] المصدر السابق ، ص ٣٣ .

خطواتها الأولي في القرن السادس عشر ، وقد ظل تطورها مرتبطاً بالصحافة والمجلات التي اختصت هذا الفن وظلت تمده دائماً بما هو جديد.

تطور فن المقالة تطوراً واسعاً فى العصر الحديث ، حتي ألفينا المقالة فى كل مطبوعة أو صحيفة ويمكن تلخيص عوامل ازدهار المقالة العربية فيما يلى :-

أ) انتشار الصحافة وازدهارها : وقد اعتمدت الصحافة على فن المقالة أكثر من سواه ، وتوسعت المقالة الصحفية وأخذت أشكالاً وألواناً عديدة وقد نشأت المجلات القادرة على استيعاب المقالة الذاتية والموضوعية مع اختلاف مضامينها.

ب)الإحساس بضرورة التغيير مع – قدوم عصر النهضة – وما نتج عنه من غليان المشكلات السياسية والاجتماعية والفكرية والأدبية[١].

ج) التأثر بالمذاهب والاتجاهات والأفكار القادمة من الغرب.

د) ظهور الأحزاب السياسية والتيارات الفكرية : وقد لجأت هذه التيارات إلى فن المقالة في بياناتها وكتابتها للدفاع عن آرائها والتعريف بها أمام الرأى العام الذى تتنافس على التأثير فيه وإقناعه واجتذابه[٢].

هـ) حركة تأسيس المدارس والكليات ونفوذ التأثير الأوربي فى سواحل الشام.

و) الاتصال بالآداب الأجنبية عن طريق البعثات والترجمات.

ر) نمو الوعي القومي وشعور المصريين بأحقية اشتراكهم في الحكم وظهور الصحافة الدينية ونشاط حركتها في مقاومة الدعوات الهدامة[٣].

---

[١] د. عبد العزيز الأهوانى : مجلة الثقافة ، العدد ٤٠٠ ، أبريل سنة ١٩٦٦.

[٢] د. محمد عوض : فن المقالة الأدبية ، ص ٣٥.

[٣] د. محمد يوسف نجم : فن المقالة ، ص ٥١.

ز) هجرة السوريين العاملين للثقافة العربية والغربية إلى مصر مع بداية النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

ي) التنافس الأدبى بين الكُتاب ، وصراعهم حول القضايا الحساسة في الدين واللغة والاجتماع[1].

[1] د. أحمد محمد على حنطور : مكتبة الآداب ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٨ ، ط٢ ، ص ٣٨.

## الخلاصـــة

يعد فن المقالة نوعاً فكرياً تُشكل الأحداث والظواهر والتطورات موضوعه. ويتميز بمعالجة الموضوعات العامة والآنية بقدر من الشمول والعمق ، مستخدماً أسلوب العرض والتحليل ، والاستنتاج. هادفاً إلى تقديم رؤية فكرية لهذه الأحداث والظواهر والتطورات.

ويتناول البحث الراهن ، تعريف المقالة كإنشاء متوسط الطول ، يكتب نثراً ، ويعالج موضوعاً بعينه بطريقة مبسطة وموجزة ويتعرض إلى المقارنة بين فن المقالة والأنواع الإعلامية الأخرى التي تكتمل فيما بينها ، وتتداخل بعضها ببعض مع بعض الفروقات المهنية.

ولإيضاح بعضها كان لابد من تحديد خصائص فن المقالة وسماته بوصفه فناً نثرياً يتميز بحجمة القصير ، أو المتوسط ، ويقدم عرضاً لفكرة واحدة ، ويتمتع بأسلوب مبسط وواضح. فلغته هى لغة الحياة العامة ، مستساغة من الجميع ، مشرقة الديباجة قوية فى التعبير وجمال الأسلوب ويمثل العنصر الشخصى ركناً أساسياً فيها ..... ويهتم البحث بنشأة فن المقالة كوليد لروح التجربة فى عصر النهضة. فهناك تطابق بين طبيعة فن المقالة وروح هذه الحقبة ، فبيئة المقال كانت بيئة نزعة التفكير الفردى والميل نحو المعرفة ، والرغبة فى التجربة من حرية وإنسانية وفردية.

فقد كانت فترة التقدم العلمى والمعرفي وتكوين الرأى العام من أهم عوامل ظهور فن المقالة ، وقد ارتبط تاريخ المقالة فى أدبنا الحديث ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الصحافة.

ومن العوامل الأخرى التي أسهمت فى ازدهار المقالة العربية كما ورد فى هذا البحث : هو المنافسة بين وسائل الإعلام والتأثر بالمذاهب والاتجاهات الفكرية ، وتأسيس المدارس والكليات ، وظهور الأحزاب السياسية. ومن وظائف المقالة المساهمة فى جميع إنجاز الأهداف التى تسعى إليها الأنواع الإعلامية الأخرى كنشر التعليم والتوعية والتثقيف ، والبناء الفكري والتفسير والشرح والتوجيه والإرشاد والإمتاع وتعبئة الجماهير أو خدمة نظام سياسي وتشكيل الرأى العام.